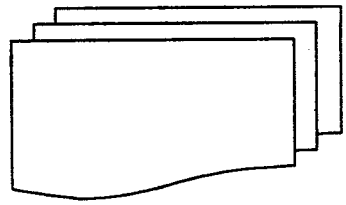

نقد الشعر بالشعر
لدى علي الجارم

إعداد

جواهر بنت عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية

بكلية التربية الأدبية – جامعة الرياض للبنات

لجنة التحكيم

أ.د/ عبد الصبور ضيف محمد عضو اللجنة العلمية الدائمة

أ.د/ تمساح علي أحمد نحيلة عضو اللجنة العلمية المحكمة

المقدمة

الحمد والثناء لله ربّ العالمين الذي خلق الموت والحياة ليبلو العاملين والصلاة والسلام على معلم الناس الخير إلى يوم الدين

أما بعد :-

فقد لفت نظري وأنا أتصفح الديوان الضخم للشاعر علي الجارم، وجود قصائد متعددة أفردها للحديث عن الشعر ولغته وأساليبه، واتجاهاته، وصوره، وصدقه الفني والشعوري، ورأيه في التجديد النقدي والأدبي.

وفي ذات الوقت لم أجد دراسات أدبية أو نقدية لفت نظرها هذا الموضوع القيّم الذي يدرس جانباً طريفاً جديداً حيوياً من جوانب النقد الأدبي الحديث.

لذا فقد عزمت مستعينة بالله على خوض غمار هذا الموضوع الضروري الذي يمثل مرحلة مهمة من مراحل أدبنا العربي، حيث أن مرحلة علي الجارم تعدّ مفترق طرق في مسيرة الشعر العربي خاصة والعالمي عامة.

إضافة إلى مكانة الجارم الأدبية والعلمية والفكرية في عصره والتي استمر وهجها إلى الآن، فهو أحد الرواد الذين لايمكن إهمال آثارهم مهما عفا على ذكراهم الزمان بخيره وشره.

وقد اعتمدت على (منهج الدراسة الاستقرائية والتحليلية) ، في كتابة هذا البحث، وقسمته إلى مقدمة وخاتمة، وتمهيد وأربعة مباحث، راجية أن يكون بداية لمباحث جادة عن الشاعر الذي لم ينل الاهتمام البحثي الذي يستحقه إلى الآن، رغم وجود بعض المؤلفات والأبحاث القليلة أو القصيرة التي تناولت شعره بعامة، لكن لم تتناول هذا الجانب الطريف اللافت في شعره، ألا وهو (نقده الشعر بالشعر)، فهو وأمثاله محتاجون لكل أذن ذواقة، وعين لماحة، وفكر باحث عن الجديد الطريف البناء.

والله تعالى من وراء القصد،،

***

**

مدخل

علاقة النقد بالشعر

علاقة النقد بالشعر هي – دون أدنى ريب – علاقة وثيقة منذ القدم، لأنها علاقة المبدع بالمتذوق، فالشعر هو ذلك النص الفني الراقي الصادر من أعماق شعور قائله، وبالتالي ينفذ إلى أعماق سامعه أو قارئه بقدر قوة تأثيره التي تنبع من مدى صدقه الفني والشعوري.

لذلك يجب أن يقابله في الجانب النقدي ما يسمى بالحاسة الفنية عند المحدثين، أو سلامة الذوق في عرف المتقدمين، والتي يراد بها في هذا المقام أن تؤدي معنى ملكة التمييز، أو قوة الإدراك، إضافة لسعة الاطلاع الثقافي، المصحوب بالفهم والوعي، وحسن التذوق لجمال القول وسحر البيان، مع ضرورة البعد عن الأهواء الشخصية وميل النفس.[١]

وليس هنالك من يشك في ذلك الدور الخطير الذي تؤديه صناعة النقد في بعث الحياة وتجديدها، والعمل على النهوض بالإنسان في كل مجالات الحياة، كما أن الإنسان ناقد بفطرته، بحيث تدفعه إلى محاولة التمييز بين الأشياء، الذي يعينه على عملية المفاضلة التي تؤدي إلى حسن الانتقاء والتخيّر الذي يرجح نظرته، ومن هنا كانت ومازالت صناعة النقد ضرورة حياتية متجددة تقوم على التبصير بقيم الأشياء ومحاولة الكشف عن حقائقها والتطلع نحو الأنفع بما ركّب في طبيعة الإنسان من رغبة في استكناه الحقائق، لاسيّما وأنه محتاج أيضاً إلى من يأخذ بيده، وإلى من يبصره ممن هو أكثر منه خبرة بطبيعة الشيء المنقود، وهذا ما يدفع إلى تقدم المجتمعات، من خلال النظر فيما هو كائن، ومحاولة ما ينبغي أن يكون.[٢]

والأدب شعراً ونثراً من الفنون التي أولتها الإنسانية – قديماً وحديثاً – اهتماماً بالغاً، والتجديد في الأدب يتطلب – شأنه شأن غيره – بعث قيم جديدة لتزحزح قيماً قديمة، وقيام معايير فكرية تستجيب لاحتياجات المجتمع الجديد، ولكن أول ما يجب أن ننبه إليه بأنه ليس من جديد في الأدب جدة مطلقة، أي لاطفرة في التجديد الأدبي، فمهما بدا الجديد طريفاً رائعاً، فله مع ذلك عوامله التدريجية البطيئة التي تجعل منه ظاهرة طبيعية لدى المتأمل، والتجديد لايقطع الصلة نهائياً بالقديم، وإن جدد من قيمة ومعالمه، ولم يكن للجديد أن يتولد دون القديم، كما أنه لا انطواء لأدب

على نفسه، فالتعاون المتبادل بين الآداب هو سبيل نهوضها وتقدمها، وهذه بديهية من بديهات النقد الأدبي لدى كبار النقاد العالميين.[٣]

ولقد كانت الحياة الأدبية في الفترة التي نبحث فيها والتي عاش فيها الشاعر الناقد علي الجارم، وهي النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، (هي الأكثر خصبا وتنوعاً، وأدل على حقيقة النهضة الفكرية والأدبية من أي فترة أخرى، وكان العالم العربي يعيش هذه النهضة بوجدانه وفكره وتطلعاته وأنماط وعيه، فمن الطبيعي إذن أن تأتي الحركة النقدية بقدر هذا الخصب والتنوع والوعي، وأن تتأثر بذلك القلق الفكري والنزعة التجديدية وعنف الصراع السياسي والثقافي، وربما اختلطت في هذه الحياة النزعات السياسية، والتوجهات الإيدلوجية، والتيارات الأدبية، ونوع الثقافة التي نشأ فيها الأديب أحياناً، وهكذا غلبت روح العصر على الحياة الأدبية، وكان من أثرها العنف الذي اصطبغت به الحياة النقدية في مصر خاصة وفي الصحافة المصرية على وجه الخصوص).[٤]

لذا كان تركيز اهتمامي، من خلال تسليط الضوء على جانب طريف من جوانب النقد الأدبي، في تلك المرحلة المهمة من مراحل أدبنا العربي، التي تعد نقطة التقاء بين القديم والحديث، وامتزاج مع الثقافات والآداب الأخرى، وكان مركز البحث يدور حول أحد بناة النهضة العلمية والتربوية والأدبية، الذي جمع بين الثقافتين العربية التي ألقت بثقلها على شعره، والأجنبية التي مرّت عليه مرور الكرام.

***

**

*

التمهيد

الخلفية الثقافية

لعلي الجارم

ولد الشاعر علي الجارم بمدينة رشيد المصرية، في الخامس والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) من عام ألف وثمانمائة وواحد وثمانين للميلاد.

وتلقّى تعليمه الأوليّ في كتّاب بلدته، حيث حفظ القرآن الكريم كاملاً، برعاية والده اللغوي الأديب محمد صالح عبدالفتاح الجارم، الذي كان يشغل حين ذاك منصب مفتي المديرية.

وقد ظهر ميل علي الجارم منذ الصغر للأدب واللغة والشعر، حيث نهل من مكتبة والده واستوعب الكثير من كتب التراث، وظهر نبوغه مبكراً حيث نظم الشعر وهو مازال في سن الخامسة عشرة من عمره، فكانت أول قصيدة له عن الوباء الذي اجتاح مدينة رشيد وقتها.

ثم انتقل إلى الأزهر الشريف لينهل من علومه العديدة على أيدي أساتذة أجلاء مثل الشيخ محمد عبده، وكان ذلك في الفترة من عام ١٨٩٦م حتى عام ١٩٠٤م.(٥)

ثم التحق بدار العلوم التي أحبها وكان من خيرة تلاميذها، حيث يقول عنه أستاذه أحمد العوامري: (أول عهدي بعلي الجارم كان عام ١٩٠٧م، حيث أسند إليّ تدريس التربية وعلم النفس بدار العلوم، وكان هو بالسنة الرابعة – أو النهائية – بهذه المدرسة، وكان بتلك السنة نحو ستة عشر طالباً، فجعلت أتفحصهم وأسبر أغوارهم، فلم ألبث أن تبينت من بينهم طالبين، امتازا بسعة الأفق، ودقة الحس، وكمال الاستعداد الأدبي، وهما الطالبان: علي الجارم، وأحمد ضيف.

وكان علي الجارم زعيم هذا الفصل علماً وذكاء ولساناً، حاضر البديهة، قوي المنطق، حتى أني كنت أعهد إليه أحياناً – وأنا مطمئنّ النفس – أن يلقي بعض دروسي وأنا حاضر بعد أن أكون قد دفعتها إليه من قبل مذكرات مكتوبة على عجل، فكان يعدّها إعداد الفطن ويلقيها إلقاء من درب بالتدريس، ولم يكن الجارم بعد قد مارس منه شيئاً، اللهم إلاّ ما كان علي سبيل التمرين في المدارس الابتدائية له ولغيره).(٦)

حتى تخرج من دار العلوم بتفوق حيث كان ترتيبه الأول على جميع أقرانه، فأوفد في بعثة إلى انجلترا عام ١٩٠٨م ، ومكث بها أربع سنوات درس فيها التربية وعلم النفس في جامعة نوتنجهام.

بعد ذلك عاد من انجلترا إلى وطنه مصر عام ١٩١٢م حيث عمل مدرساً ثم مفتشاً للغة العربية بوزارة المعارف، ثم كبيراً لمفتشي اللغة العربية، ثم عيّن عميداً لدار العلوم التي درس بها، وذلك منذ عام ١٩١٤م حتى بلوغه الستين عام ١٩٤٢م.

كما أنه عيّن عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر منذ إنشائه عام ١٩٣٣م، ويعدّ من أبرز أعضائه، حيث أثراه بأبحاثه العديدة العميقة دفاعاً عن الفصحى التي عاش حياته عاشقاً ومخلصاً لها، حتى توفي رحمه الله تعالى في الثامن من شباط (فبراير)، عام ١٩٤٩م.[٧]

مؤلفاته :-

كان علي الجارم موهوباً حقاً ، وقد انعكست ثقافته العميقة الراقية على مؤلفاته العلمية، حيث كتب إلى جانب الشعر، فنّ الرواية، والمقالة، والترجمة، والتأليف ، بمهارة عالية متعادلة في جميع المجالات، بنصاعة لغة، ومهارة بيان، ورصانة أسلوب، يكاد يزاحم كل فن منه الفنون الأخرى.

ومؤلفاته هي :[٨]

- أولاً : في الشعر :

- ديوان علي الجارم المكون من جزئين كبيرين عام ١٩٣٩م.

- ثانياً : له في الترجمة :

قصة العرب في إسبانيا : تأليف لين بول ستانلي ، عام ١٩٤٤م.

- ثالثاً : له في الدراسات الأدبية :

"جارميات" : مجموعة بحوثه ومقالاته التي جمعت بعد وفاته تحت هذا العنوان.

- رابعاً : وله في التربية وعلم النفس :

كتاب "علم النفس وآثاره في التربية والتعليم". بالاشتراك مع مصطفى أمين.

- خامساً : له في فن الرواية :

١- شاعر ملك / عام ١٩٤٣م.

٢- سيدة القصور / عام ١٩٤٤م.

٣- فارس بني حمدان / عام ١٩٤٥م.

٤- غادة رشيد / عام ١٩٤٥/.

٥- الشاعر الطموح / عام ١٩٤٧م.

٦- خاتمة المطاف / عام ١٩٤٧م.

٧- مرح الوليد / عام ١٩٤٨م.

٨- هاتف من الأندلس / عام ١٩٤٩م.

٩- الفارس الملثم / عام ١٩٤٩م.

- سادساً : وله في النحو واللغة :

١- النحو الواضح، بالاشتراك مع مصطفى أمين ، عام ١٩٤٦م.

٢- البلاغة الواضحة، بالاشتراك مع مصطفى أمين.

٣- دليل البلاغة الواضحة، بالاشتراك مع مصطفى أمين أيضاً.

- سابعاً : وله في الشرح والتحقيق :

١- "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية" تأليف ابن طباطبا، فخر الدين محمد بن علي ابن الطقطقي، مراجعة محمد عوض ابراهيم، عام ١٩٣٨.

٢- "البخلاء" للجاحظ ، بالاشتراك مع أحمد العوامري، عام ١٩٣٩م.

٣- "ديوان البارودي" بالاشتراك مع محمد شفيق معلوف، عام ١٩٤٠م.

٤- "المكافأة" لابن الداية، ابو جعفر بن يوسف الكاتب، تصحيح وضبط وشرح، بالاشتراك مع أحمد أمين.

وغير ذلك من كتب المؤلفات الدراسية المشتركة، والأخلاقية والتربوية، ومراجعة القصص المترجمة، حيث كان الجارم شعلة نشاط حتى نهاية حياته بعد الستين، حيث أوضح أستاذه وزميله المرحوم أحمد العوامري (بأن هذا الرجل المرهق بالعمل، المحلق ليلاً ونهاراً في شعره وقصيده، يخرج علينا في الأعوام الستة الأخيرة من عمره، بثماني روايات هي من مفاخر ما كتب في القصص التاريخي بالعربية، رغم أنه كان أحوج ما يكون إلى الراحة في تلك السنوات). [٩]

وكذلك قال ابنه الطبيب أحمد علي الجارم، الذي كان أكثر أبنائه التصاقاً به، بل كان سكرتيره الذي أملاه وقرأ عليه الكثير، بأن والده كان يقبل على العمل بدأب ومثابرة، وحتى بعد إحالته إلى التقاعد فقد كان يسهر الليالي يقرأ ويكتب بعد أن يغلبنا النعاس نحن أهل المنزل جميعاً. [١٠]

***

**

نقد الشعر بالشعر

لدى علي الجارم

لعلنا لانغالي إذا قلنا أن على الجارم كان مجموعة عقول في جسد واحد ، فلم يكن شاعراً مجيداً فحسب، بل كان أيضاً باحثاً لغوياً، وأديباً ناقداً، فمما يلفت النظر في شعره احتواؤه على كثير من الآراء النقدية حول الشعر والشعراء، فبذلك يكون شعره قد جمع بين مزايا النظم والنقد معاً، وقد تكون نوعية شخصيته العلمية النقدية التربوية لها دور في ذلك، وهذه مزية أغفلها كثير من الدارسين لشعر الجارم، حيث جمع فيها بين حسه النقدي الصائب وبين موهبته الفنية المرهفة.

ولعل كون الجارم شاعراً متميزاً معروفاً، قد ساهم مساهمة فعالة في حسن تذوقه للشعر، ودقة ملاحظاته النقدية على هذا الفن الحيوي القديم المتجدد، ومما يدعّم رأيي هذا مقولة نقدية للناقد الكبير الدكتور محمد مندور وهي أن (أساس النقد الأدبي – مهما قلّبنا أوجه الرأي – لايمكن إلاّ أن يكون التجربة الشخصية، وكل نقد أدبي لابدّ أن يبدأ بالتأثر، وذلك لأنك لاتستغني عن الذوق الشخصي والتجربة المباشرة لإدراك حقيقة مّا إدراكاً صحيحاً).[١١]

وعلى الرغم من أنه أحد شعراء عصر النهضة الذين ساروا في الاتجاه التقليدي وأناخوا مطاياهم في ساحته، سواء في ميادين الشكل أو المضمون، إلا أن شعره حوى الكثير من الرؤى النقدية الفنية، والأفكار التأملية الجمالية المتجددة، وهذا ليس بغريب على الجارم الذي زاوج فكره بين العقل والروح، فسار في طريق البحث العلمي إلى جانب تحليقه في عالم الشاعرية والخيال، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على "منبت الشاعر" الذي غرس فيه أمثال تلك الجذور الخيرة البناءة، حيث يقول هو عن نفسه : (نشأت في أسرة فتنت بالأدب، وأغرمت بفطرتها وباستعدادها الموروث بروائع الشعر على اختلاف ألوانه وفنونه، وكان أبي إذا جلس بعد العشاء التف حوله أبناؤه فتنقل بهم من أدب إلى تاريخ إلى بحوث سهلة في اللغة، ثم إلى شعر جزل رصين، ولقد كان عليه الرحمة كثير القراءة قوي الحافظة، حسن العرض والأداء، فكان متاعاً أن نستمع له، وأن ترف نفوسنا حوله طليقة مرحة في هذا الجوّ العجيب).[١٢]

إذن لا غرو في أن يتحفنا الجارم بآراء نقدية تدور حول الشعر، أبرزها ما ذكره في شعره نفسه، وليس في نثره فحسب كما هو المعتاد عند النقاد، لقد جعل هذا الشاعر الأديب من الشعر

(كائناً حياً) يسامره ويخاطبه ويشكو إليه مرارة همومه، بل وتكاد لاتخلو كثير من القصائد الجارمية من ذكر للشعر ووصف له وتبيان لحقيقته ودوره في الحياة، ورأيه في بعض الأغـــراض الـــشعرية مستخدماً في ذلك التعليلات الطريفة المستندة إلى فكر ثاقب وحسن رؤية، وسعة أفـــق، وتنـــوع ثقافة.

ولكن ليس معنى ذلك أن علي الجارم قد اختط في شعره طريقة الشعر التعليمي الجاف المعتمد على القوانين المتتابعة ، بل إن أشعاره تلك كانت مملوءة بالعواطف الجياشة، والـــرؤى الفلـــسفية والواقعية على حد سواء، وظلت أساليبه زاخرة بالجمال الفني الذي يلحظه متذوق الشعر الحقيقي.

لذلك نرى أنه من المنفعة الفكرية والتذوقية أن نقطف ثماراً جنية، ونجمع زهوراً خلابـــة مـــن حديقة شعر علي الجارم، ولتكن طريقة قطفنا وجمعنا مبنية على الترتيب والموالاة.

***

المبحث الأول :

مفهومه للشعر ، ولأهميته

حيث نرى بادىء ذي بدء الشاعر المتذوق ذا الحس النقدي (يعرّف لنا الشعر) كما خبره، حيث هو فكرة تفوق سواها من الأفكار لأنه الأشد إقناعاً للمتلقي بسبب صدوره من أعماق الملقي:(١٣)

الشعرُ عاطفةٌ تقتادُ عاطفةً ... وفكرةٌ تتجلّى بين أفكارِ
الشعرُ إنْ لامسَ الأرواحَ ألهبَها ... كما تَقَابلَ تيارٌ بتيّارِ

فيرى الشاعر الناقد أن الشعر فكرة وعاطفة على حدّ سواء ، فكرة تغذي العقول وتنير بصائر الناس، وعاطفة تحيي الأرواح الميتة وتسقي المشاعر الجدباء، كما أنّ الشعر هو تلك الموسيقى المطربة للنفوس التي تعمر القلوب بنبيل الشعور ورقة الوجدان، بل هو الجمال الأخاذ بعينه.

ورغم ذلك فالشعر كما يرى الجارم لايقاس بالكثرة ولايوزن بالقنطار، إنما هو فن من أدقّ الفنون حساً، وأبعدها عن طالبيه منالاً، فليس كل ما صحّت تفاعيله شعراً، وليس كل ما حواه إطار فناً:(١٤)

إنما الشعرُ على كثرتِهِ ... لاترى فيه سوى إحدى اثنتينْ
نفحةٌ قدسيّةٌ أو هذرٌ ... ليس في الشعرِ كلامٌ بيْنَ بيْنْ

وهو هنا يبرز ولاءه واقتداءه بأحد فرسان الشعر العربي الأصيل الذي مازال بريق شعره يخلب الألباب والأبصار مهما انحرفت بعض مسارات الشعر العربي المعاصر، ألا وهو الشاعر العباسي البحتري الذي قال :(١٥)

والشعرُ لمحٌ تكفي إشارتُه ... وليس بالهذر طُوّلتْ خطبُهْ
لو أنّ ذاكَ الشريفَ وازنَ بين اللـ ... ـفظِ واختارَ لم يُقَلْ شَجبُهْ

ليس ذلك فحسب، بل نرى الشاعر يعود لمثل هذا الحديث عن الشعر في موضع آخر، يسامره فيه ويخاطبه، ويتغزل بجماله وفنيّته وتأثيره معدداً خصائصه الفنية والمعنوية، قائلاً:(١٦)

كمْ ثملْنا برشــفةٍ منــكَ يـا شعـــ رُ فــصرنا روحـــاً بـــلا أشــباحِ
ورأيْنــا مـــن (الحقــائقِ) مــا عــزّ علـــى كــلّ باحـــثٍ كــدّاحِ
وقرأنــا في كــل شــيءٍ (رمــوزاً) فوق طــوق (البيــان) والإيــضاحِ

ومن الواضح هنا أن الشاعر يتحدث عن مزايا الشعر وخفته وتحليقه بقائله إلى عالم لايستطيع الولوج إليه إلا من سمت نفسه نحو الشاعرية التي تغوص في جميع الحقائق مهما دقت وخفيت، وهذا هو سرّ الإلهام الذي لايستوعبه إلا من أنعم الله به عليه، إلى الحد الذي يجعله يفهم لغات الطيور وهمسات الزهور، بل إنّ رهافة حس الشاعر تجعله يفهم كثيراً من الحقائق التي عزّ إدراكها على الباحثين الماديين.

لقد اتخذ علي الجارم من الشعر حبيبًا وأنيساً يلجأ إليه إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولم لا ؟ وهو رفيقه الذي يتنقل به وبكل شاعر إلى عوالم رحبة أطلق عليها النقاد ودارسو الأدب مسمّى (أفكار الشعر ومعانيه)، واختار لنا الشاعر منها أجملها:(١٧)

إيهِ يا شعرُ أنــت سـلوايَ في الـدّنـْـ يــا إذا ضــاقَ بي فــسيحُ الــبراحِ
كــم عنــاءٍ كــشفْتَ بعــدَ نــضالٍ وجـــبينٍ مـــسحْتَ بعـــد كفــاحِ
لا تدعني يا شــعرُ في ليلــة الذكْـــ رى وأطلـــقْ إلى الخَيـــالِ ســراحي
غـــنّني بـــالمنى تـــرفُّ حنانـــاً بعـــدَ نـــأيٍ وبعـــد طـــولِ جمـــاحِ
غـــنني باللقـــاءِ بعـــدَ شـــتاتٍ وبعطـــفِ الزمـــانِ بعـــدَ شـــياحِ
غـــنني بـــالربيع يخطِـــرُ في الـــروْ ضِ وَيَخْطُـــو بمئـــزرٍ ووشـــاحِ

ولم يكتف الجارم بالتغني بدور الشعر فحسب بل عرّج إلى (دور الشاعر المبدع) في الفن والحياة حيث يقول في رثائه لأحد هؤلاء المبدعين :(١٨)

ابْـكِ للـشمسِ في الـسماءِ أخاهـا وابـكِ للـدّهرِ قلبَـهُ ولـسانَهْ
وابْكِـهِ للنجـومِ كـم سـامرتْهُ مالئـاتٍ بوحيهـا آذانَـهْ
وابكِ للروضِ واصفاً يخجـلُ الـرَّوضُ إذا هـزَّ الـيراعُ بنانَـهْ
وابكِـهِ للخيـالِ صـفواً نقيـاً إنـه كـان في الـورى تُرجمانَـهْ
كـم يتـيمٍ مـن المعـاني غريـبٍ مـسحَتْ كفُّـهُ عليـه فـصَانَهْ
وشمـوس رنـا إليـه، فـألقى رأسَـهُ خاضـعاً وأعطـى عنانَـهْ

ويعلل عاشق الشاعر آراءه النقدية الطريفة هذه مؤكداً (أهمية هذا الفن العظيم) للبشرية، ومبيّناً مكانته في الحياة، تلك المكانة العظيمة الخالدة عبر صروف الزمان وتقلباته، حيث ينشد بطرب وقناعة وحبور، معلناً بأعلى صوته أن الشعر هو سيد الساحة دائماً فهو قد ينام لكن لايموت أبداً، وعشاقه لاينقطعون عنه مطلقاً :[١٩]

إذا مـا الـشعرُ كـان شـعاعُ نـورٍ أعـارَ الـشمسَ إشـراقاً وخُلْـدا
يـشيبُ فيـستردُّ صـباهُ غـضّاً ومـا أحلـى الـشبابَ المـستردّا
طـوى الـدنيا فلـبسَ الـوعرُ وعـراً لِوَثْبَتِـهِ، ولـبسَ النجـدُ نجـدا
إذا كـفُّ الزمـان رمَـتْ رَماهـا وإن جـدَّتْ بـه الأحـداثُ جـدّا
وإن بـسمَتْ لـه الـدنيا سمعنـا نـشيداً يمـلأُ الأطيـارَ حقـدا
تمنّـتْ أن يكـون لهـا صـداه فـصعّرَ خـدّه ونـأى وصـدّا
وأيـن لمثلـها وتـرٌ مـرنٌ مـن الإلهـام إحكامـاً وشـدّا ؟
يغـرّدُ للخلـود بكـلّ أفـق ومـا عرفَـتْ لـه الآفـاقُ حـدّا

ولا يكتفي الجارم في حديثه عن الشعر بتبيان الأثر الروحي والنفسي في الملقي والمتلقي، بل إنه أيضاً قد بيّن دوره الخطير من الناحية الاجتماعية والسياسية، ذلك الذي يتمثل في خوضه الحروب وقيادته المعارك على مدار التاريخ ، فهو خير مثير وخير محرّض يشعل الحميّة والنخوة في نفوس القادة والجنود على حدّ سواء:[٢٠]

الشعرُ للمُلكِ جيشٌ لا يصاولُهُ ... جِلادُ مُرْهَفَةٍ أو فتكُ بتّارِ
يغزو وينصرُ ، لا أشلاءُ معركة ... تُرى ولا وثباتٌ حول أسوارِ

وقد اعتمد الشاعر في نقدياته الشعرية كثيراً على (التصوير الفني) لإبراز فكرته كي تصل للقارىء، كتشبيهه هنا الشعر بالجيش، حيث أن وجه الشبه بينهما يتمثل في الأهمية العظمى لكليهما التي تجعل السيف والشعر في ساحة واحدة جنباً إلى جنب، وإن فاقه الشعر في الأهمية.

ثم يهزا ابن النيل ممن يعظمون شأن الأهرامات ويعتقدون أنها هي السبيل الوحيد إلى الخلد، بينما هي مجرد أحجار مرصوفة، لأن هناك ما هو أهم منها لتخليد الأمم، ألا وهو الشعر الذي يهزّ العاطفة ، ويسيطر على النفوس، ويخلد المآثر والأمجاد، حيث نراه يقول في ذلك :[٢١]

فقلْ لمن راحَ للأهرام يرفعُها : ... الخلدُ في الشعرِ لافي رصفِ أحجارِ
كم حكمةٍ فيه لا تفنى بشاشتُها ... ومن حديثٍ على الأيام سيّارِ
الشعرُ للمُلك مرآةٌ مخلّدةٌ ... على تعاقبِ أجيالٍ وأدهارِ

وهذا كله رغم حب الإنسان المصري للأهرامات حباً شديداً ، لكنها بناء مادي، بينما الشعر صرح معنوي أقوى خلوداً حسب رؤية الجارم النقدية الذاتية المؤثرة.

ثم إننا نرى الشاعر في مواضع أخرى من شعره يضع النقاط على الحروف مبيناً صفات الشعر جيد، وكأنه بذلك يرسم لنا الأسس النقدية (للشكل الشعري) من لفظ وقافية وحسن سبك وجودة بناء عضوي متكامل، حيث يوضح ذلك قائلاً:[٢٢]

واحرصْ علـى سـحرِ البيـان ووحيـهِ وارفـق بـآيٍ في القـريضِ فـصاحِ
جمَعَـتْ مـن الزهـرِ النـديّ قوافيًـا تُـسبي النـهى بعبيرِهـا الفـوّاحِ
دررٌ صـحاحٌ لـو تقـاسُ بـشبهها لبـدَتْ دراري الليـلِ غـيرَ صـحاحِ
مـا الـسيفُ في كـفِّ المفـزَّعِ قلبُـه كالسيف في كفِّ الفـتى الجحجـاحِ[٢٣]
الـشعرُ مـن سـرِّ الـسماءِ فهمـسُهُ وحـيُ النفـوسِ وراحـةُ الأرواحِ

إن شاعرنا يبين أن أسس الشعر الرائع تتمثل في القول البليغ، والبيان الساحر، والهدف البناء، والقوافي النديّة، والألفاظ الموزونة المبرّأة من الكسر والعيب، وقبل كل شيء وبعده الإلهام الذي هو سرّ الشعر والشاعرية معاً.

إذن نلاحظ من خلال النصوص السابقة المتعددة كيف أوضح علي الجارم رؤيته النقدية الفنية التي تبين متى وكيف تظهر أهمية الشعر للذات القائلة وللمجموعة المتلقية.

***

**

المبحث الثاني :

نقده للأغراض والمضامين الشعرية

وما دام علي الجارم قد تحدّث شعريا عن آرائه النقدية حول الشعر (شكلا ونبضا وروحـاً)، فقد أدلى بدلوه أيضاً في آبار (المضامين المتعددة)، حيث أبدى رأيه في أهم الأغراض الشعرية، ولقد لاحظنا أنه كانت لهذا الشاعر وجهات نظر نقدية جديدة سديدة، كرأيه حول "فنّ المديح" الـذي سبق به كثيراً من أراء النقاد المعاصرين الذين اقاموا كثيراً هذا الفن بأنه خـير مجـال للتكـسب فحسب، وأنه ليس إلا شعر مناسبات خالية قصائده من الصدق الفني والعاطفة الجياشة، بيـد أن الجارم امتاز عن هؤلاء بواقعية الرؤية وطرافة المقولة، حيث ينشد في قصيدة تعد من غرر قـصائده قائلاً :[٢٤]

قد حبسْنا المـديحَ عـن كـلّ مـستا ... مٍ ، وأجْـدِرْ بـشعرنا أن يـصانا
لاتـزينُ العقـودُ جيْـداً إذا لمْ ... يَـكُ بالحـسنِ قبلـها مزدانـا
ربَّ درٍّ لاقـى مـن الـصدرِ دُرّاً ... وجُمـانٍ في النحـرِ لاقـى جُمانـا
لـو مـدحنَا مـن لايحـقُّ لـه المـد ... حُ لـوى الـشعرُ رأسَـهُ فهجانـا

فالجارم يرى أن المدح لمن لايستحقه إنما هو هجاء لقائله، وهو نفسه قد اتبع هذا القانون بقدر الإمكان، لأن المديح سيصبح حينئذ نفاقاً ومجاملة، فالكلام الجميل يقابل زيـن الأفعـال وجميـل السمات.

كما قال هذا الشاعر عن ذات الموضوع مؤكداً معان وأفكار يجب الالتزام بها كدلالة علـى الصدق الفني في غرض المديح، وذلك لنشر الأخلاق السامية من خلال ذكرها وإشاعتها:[٢٥]

نغـمُ الـشعرِ في ربـا جناتـهْ ... أسكت ابـن الغـصون في دوحاتـهْ
مالَ سمـعُ الـدنيا إليـهِ وأصـغتْ ... هاتفـاتُ المـنى إلى هاتفاتـهْ

صُـنتُهُ أن يهـونَ، والفـنُّ يـسمو ... حـين تـسمو بـه نفـوسُ حُماتـهْ
مـا مـدحْتُ الكـريمَ إلاّ لأدعـو ... بمـديحي إلى كـريمِ صـفاتهْ
أنـا بالمجـد مولـعٌ وبأهليْـ ... ـه وبالباقيـات مـن ذكرياتـهْ

ثم يبرهن على ذلك مستدعياً رموزاً شعرية تاريخية عظيمة، قائلاً : [٢٦]

الرسولُ الكريمُ أنطقَ حسّا ناً، ولولاه لم يكن حسّانا
وابنُ حمدانَ لقّنَ المتنبي غُررَ المدحِ في بني حمدانا
يصدقُ الشعرُ حينما يصدقُ النا سُ فيشدو بمدحِهم نشوانا

فحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه هو صنعة مديحه لرسول الهدى صلى الله عليه وسلم، وكذلك المتنبي الذي كان من أسباب شهرته مديحه لبطولات سيف الدولة الحمداني.

ولكن إذا اختفت البطولات اختفى المدّاحون، وانصرف الشعراء إلى طرق أغراض أخرى هاجرين فن المديح طالما أن ليس هناك من يستحقه، وذلك كما فعلوا في الشعر المعاصر، لكن لو ظهر من يشبع فاقتهم من النصر المفقود لعادوا لنهج أسلافهم في المديح الصادق: [٢٧]

وإذا عزّت المكارمُ ولّى مطرقَ الرأس واجماً خزيانا
ومضى يشتكي الزمانَ ويبكي دارساتِ الطلولِ و الأضعانا
فإذا شئتَ أن أكونَ زهيراً فأعنّي وهاتِ لي ابنَ سنانا

يمضي الجارم في براهينه التاريخيه عن فن المدح، حيث يشير في الأبيات السابقة إلى الشاعر الجاهلي المعروف زهير بن أبي سلمى، الذي أثنى عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قائلاً: أنه أشعر الشعراء، وحينما سُئل عن سبب كونه كذلك؟ قال: " لأنه كان لايعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بمافيه " [٢٨].

أما فن (الوصف) فان الجارم يراه بروح فنية دقيقة وليس مجرد غرض شعري تقليدي، حيث يقول عن الوصّاف البارع : [٢٩]

وإن وصفَ الحربَ خلْتَ الحرابَ تسدُّ من الأرضِ أقطارَها
فتُمسكُ جنبكَ ذعراً تخافُ قناها وترهبُ بتّارَها

أما فن (الغزل) فإنّ شاعرنا كان يراه برؤية متفائلة مبدياً رأيه النقدي في نسيج الشعر العاطفي: [٣٠]

غــزلٌ كالــشباب ينــضحُ آمــا لاً ويهـــزُ في حُلَـــى فتانَـــهْ
تــسمعُ الحــبَّ في نواحيــه همــساً يتنـــاجى ، ويـــشتكي أشـــجانَهْ
وتحــسُّ الهــوى يــرفُّ حنانــاً شَــرَكُ الحــبِّ أن تُحِــسَّ حنانَــهْ

لقد أتى الشاعر في غزلياته بمعانٍ مستحدثة، نابعة من أعماق وجدانه وشفافية شاعريته، وتفاؤل الشباب، ودقة المجرّب، وصدق التجربة الشعرية، لاسيما في البيت الأخير حيث يوضح الجارم الناقد أن القصيدة العاطفية تكون بلا روح ولا وهج إذا افتقدت الصدق الشعوري والفني.

حيث أن (التجربة الشعرية) التي هي مصطلح نقدي حديث، يتوقف عليها مدى تأثير النصوص في نفسيات متلقيها بمدى تأثر الشاعر نفسه بها قبلاً، ومدى احتمال تفاصيل دقائق القول الشعري في وجدانه وفكره. وقد نص كثير من النقاد المعاصرين على هذا القول مبينين بأن اعتماد الآدب شعراً ونثراً على العاطفة هو الذي يبعث فيه الخلود على مر العصور لأنها تجمع بين الاقتناع الذاتي والإخلاص الفني.[٣١]

ثم في موضوع آخر نراه يحيط كل تلك الأغراض الشعرية بأُطُر (المثالية والالتزام) التي يتوجب على الشاعر الحق أن يتقيد بها، لكي يحقق الأهداف البناءة من الشعر الأخلاقي حيث يقول داعياً إليها ومفاخراً بشعره في ذات الوقت :[٣٢]

ضَــنَنتُ بــه فلــم يهتــفْ بعمــرٍو ولم تــستهوِه بــسماتُ سُــعدى
وصُــنْتُ لهاتَــهُ عــن كــل لغــوٍ لــه خــدُّ الفــتي العــربيِّ ينْــدى[٣٣]
تلــثَّمَ بالإبــاءِ فعــاشَ حــراً ولــو عــرفَ الريــاءَ لمــاتَ عبــدا
يهــزُّ حميَّــةَ الفتيــان نــصْلاً ويحــشدُ رابــضَ العزمــاتِ جنــدا
ويــشعلُ في القلــوبِ وميــضَ نــارٍ كــنيرانِ (الكلــيمِ) هــدًى ورشــدا
ويــشدو بــالمروءةِ إن تــراءَتْ وبالــصنعِ الجميــلِ إذا تبــدّى

فشعره الملتزم تنطبق عليه مبادىء الأدب الإسلامي، الذي ينطلق عن وعي وإدراك، ويلتزم بالصراط المستقيم، فلا يهبط إلى وحل الأهواء الجاهلية، فهو يمدح ويصف ويتأمل، ويعبر عن الجمال الطاهر ويتلمس اليقين الثابت والصدق، معنى وفناً. (٣٤)

فنراه يتكيء على فن التشبيه مرة أخرى لتحقيق هدفه، حيث يستدعي رمزاً دينياً عظيماً، فيشبه الشعر البنّاء في هدايته للناس بنيران هدى كليم الله تعالى موسى عليه السلام، الذي تفضل عليه الخالق سبحانه بنعمة الكلام معه في هذه الدنيا دون باقي الناس، ويتضح التأثير القرآني على الشاعر المتثقف ثقافة دينية، حيث هو يشير إلى الآيات الكريمة : (٣٥) (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ{*} فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{*} يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

ونلاحظ أن الجارم يعتمد في شعره كثيراً الرموز الدينية والتاريخية، بوفرة ملحوظة للمتمعّن في ثنايا شعره عموماً، وشعره النقدي خصوصاً. (٣٦)

***

**

المبحث الثالث :

رؤيته الشعرية للقضايا النقدية المعاصرة

ولم يكتف علي الجارم بنشر رؤاه الفنية والنقدية حول الشعر شكلاً ومضموناً، بل لقد جاوز ذلك إلى كثير من (القضايا النقدية الحديثة) التي تهم فن الشعر، كقوله ينعي ما وصل إليه الشعر من اللامبالاة العصرية وتقديم الماديات والثانويات عليه، حتى لكأنه أصبح من الكماليات لدى بعضهم، بل إن بعضهم الآخر رآه من المهملات التي لاحاجة لها البتة: (٣٧)

أنا في أمةٍ بها جدولُ الضرْ ب طغى سيلُهُ على الأذهانِ
إنْ رأوا صفحةً بها بيتُ شعرٍ تركوه يبكي على كلِّ باني
صحتُ فيهم فعادَ صوتي مع الريْـ ـحِ، وعادَتْ حزينةً ألحاني
في كسادِ القريضِ أخفيتُ دُرِّي وخَزَنْتُ الغريبَ من مرجاني
وتمنيتُ كلَّ شيء على اللـ ـهِ سوى أن أعيشَ من أوزاني

إن مشاعر الجارم الحزينة الصادقة تفيض من بين ثنايا الأبيات في زمن لم يعد للشعر والفن والذوق مكان لائق كتلك المكانة التاريخية السابقة، حتى أصبح الشعر بضاعة كاسدة لاتجد من يقدّرها، ولو علم شاعرنا ما وصل إليه الشعر في زمننا الحاضر لتضاعف حزنه، ولكن حسبه أنه أدى واجبه وأطلق صيحات التحذير التي يبدو أنها لم تؤدِّ النتائج المرجوة منها.

ويناقش الشاعر قضية أخرى مهمة من قضايا الفكر الأدبي، حيث يوضح اتجاهه البيِّن المنحاز إلى التراث شكلاً وموضوعاً حسب ما يتلاءم مع روح العصر، بل ويصرّح بمعاداته لكل وافد فكري وأدبي من الغرب، حيث ينادي بصوت مجلجل ساخر ضد بعض الدعوات المعاصرة، التي يحارب الجارم فيها ضعف الذوق، وضآلة الثقافة، والتعجّل بالتجديد دون توافر مقوماته الأصيلة: (٣٨)

سكتَ العندليبُ في وحشةِ الرَّوْ ضِ، وغنّتْ نواعقُ الغربانِ
فسمِعْنا من النشوزِ أفانيْـ ـنَ يروِّعْنَ صادحَ الأفنانِ

جلبوا للقريضِ ثوباً من الغرْ ... بِ، ولم يجلبوا سوى الأكفانِ
ثم قالوا : مجّددون فأهلاً ... بصناديدِ أُخريات الزمانِ
لاتثوروا على تراثِ امرئ القيـ ... ـس، وصونوا ديباجةَ الذبياني[٣٩]
واتركوا هذه المعاولَ باللّـ ... ـهِ، فإني أخشى على البنيانِ
وأحفظوا اللفظَ والأساليبَ والذو ... قَ، وهاتوا ما شئتمُ من معانِ

ما هو الشعر المثالي – إذن – في نظر علي الجارم ؟ إنه ذلك الشعر المتخضّب بخضاب التراث، الضارب في عمق الأصالة العربية، سواء أكان ذلك في الشكل أم في المضمون، فكلاهما متمم للآخر، فيقول في رثاء أستاذه إسماعيل صبري الشاعر المصري الحديث المعروف:[٤٠]

أين ذاك الشعرُ الذي كنْتَ تزجيـ ... ـه فيسري في الأرضِ عرضاً وطولا
قدْ سمعناهُ في المزاهرِ لحناً ... وسمعناهُ في الحمَامِ هديلا
تنهبُ الدرَّ من عقودِ الغواني ... ثم تدعوه فاعلائن فعولا
خطراتٌ تسيرُ سيرَ الدَّراري ... آبياتٍ على الزمانِ أُفولا[٤١]

إنه لايستطيب الجلوس إلا على مائدة ذلك التراث الضخم الذي لا ينضب مهما حاول دعاة الهدم، وإن لم يعارض الشاعر التجديد في المعاني والأفكار، لأن هذا هو ديدن الحضارات المتجددة.

فما هو القالب الذي صنع الأصالة وحفظ التراث من الضياع ؟ إنه دون أدنى شك عامل (اللغة)، وهي هنا اللغة العربية الفصحى التي نزل القرآن العظيم بلغتها الفصيحة البليغة المعجزة، حيث يقول الجارم مؤكداً (أهمية هذه اللغة الفصحى) في الدين والعلم والشعر والحياة:[٤٢]

نورٌ من اللهِ هــالَ القــومَ ســاطِعُهُ وليسَ يُحجَبُ نــورُ اللهِ بالحُجُــبِ
تكلمَتْ ســورُ القــرآنِ مفــصحةً فأسكتَتْ صخبَ الأرماحِ والقُضبِ

وقامَ خيرُ قريشٍ وابنُ سادتِها بمنطقٍ يدعو إلى اللهِ في عزمٍ وفي دأبِ منــهُ
هــاشميٌ الوشــيِ لــو نُــسِجَتْ الأصـــائلُ لم تنـــصُلْ ولم تَغِـــبِ
وأصبحت (بنتُ عــدنان) بنفحتِــهِ تِيهاً تجرِّرُ مــن أذيالهــا القُــشُبِ
فازتْ بركنٍ شديدٍ غــيرِ منــصدعٍ من البيانِ وحبلٍ غــيرِ مــضطربِ

وفي موضع آخر يقول عاشق اللغة العربية، متغزلاً بها كما يتغزل العاشق بمعشوقته، مبيناً دورها البياني والبلاغي، التليد والعظيم في حياة العرب والمسلمين، وخلودها وتأثيرها، حيث غلبت في قوتها وثباتها وحسنها صلابة الفرسان الذين قد يعتريهم وأسلحتهم الـوهن والرهبـة وبالتـالي الفناء(٤٣):

يا (ابنةَ الضاد) أنت سرٌّ من الحســْ ـنِ تجلّـــى علـــى بـــني الإنـــسانِ
كنــتِ في القفْــرِ جنــةً ظلّلتْهـــا حاليـــاتٌ مـــن الغـــصونِ دواني
لغةُ الفنِّ أنــتِ والــسحرِ والــشعرِ ونـــورُ الحِجـــا ووحـــيُ الجنـــانِ
رُبَّ جــيشٍ مـــن الحديـــدِ تـــولّى واجفَ القلبِ مــن حديــدِ اللــسانِ
وبيـــانٍ بـــنى لـــصاحبِهِ الخُلـــْ ـدَ مطِـــلاًّ مـــن قمـــةِ الأزمـــانِ

لذلك يقول محذرا من مغبّة هجران اللفظ الفصيح(٤٤)،

(والمحدثاتُ) تسدُّ الـشمسَ كثرتُهـا ولم تفــزْ بخيــالِ اســمٍ ولا لقــبِ
(والترجماتُ) تشنُّ الحــربَ لاقحــةً علــى الفــصيحِ فياللويــلِ والحَــرَبِ
نطيرُ للفــظِ نــستجديه مــن بلــدٍ نــاءٍ وأمثالُــهُ منّــا علــى كثَــبِ
كمهرقِ الماءَ في الصحراءِ حــينَ بــدا لعينــهِ بــارقٌ مــن عــارضٍ كــذبِ

فالجارم يستخدم المشاهد التمثيلية المتكأة على فن التشبيه والتشخيص والتجسيم، كي يوضح لنا ما يريد إيصاله من فكرة هامة جسور، فما أشبه العرب اليوم في استعجالهم أخذ المصطلحات الغربية، بذلك الشخص العجول الساذج الذي تسرع بإراقة ماالديه من ماء حينما لاح له برق عارض كذب من السماء.

ثم يتساءل الشاعر في حيرة وتعجب قائلاً :[٤٥]

أنتركُ العربيَّ السمْحَ منطقُهُ إلى دخيلٍ من الألفاظِ مغتربِ ؟!
وفي المعاجمِ كنزٌ لانفادَ له لمن يميّزُ بينَ الدرِّ والسُّخَبِ[٤٦]
كم لفظةٍ جُهدتْ مما نكررها حتى لقد لهثتْ من شدةِ التعبِ
ولفظة سُجنتْ في جوفِ مظلمةٍ لم تنظر الشمسُ منها عينَ مرتقبِ

فالجارم في هذه النماذج الشعرية ومثيلاتها يعلن حربه النقدية على بعض مدّعي التجديد، وهم في الواقع حداثيين متبعين لمذاهب الغرب الشعرية والنقدية والفكرية، وكأنهم بذلك يكفنون الفصحى وتراثها من شعر ونقد، وهذا رأي نقدي يكشف بحق أن الجارم بنقده هذا يكون سابقاً لعصره لأنه لاحظ نذر انسلاخ الهوية العربية مبكراً قبل أن يلحظها كثيرون غيره.

وذلك لأن النقاد المحافظون رأوا فيما بعد أن الحداثة التي حمل لواءها العديد من الشعراء والنقاد العرب المعاصرين، ما هي إلا استحداث ألفاظ وتعبيرات جديدة تقتل بناء الفصحى الأساسي وجوهر بيانها، حيث أصبحت الحداثة عدة مذاهب ومناهج فكرية وأدبية متفلّتة عن الدين والتراث والخلق، بإصرار وتيه.[٤٧]

***

**

المبحث الرابع

التقييم الفني للنقد الشعري عند الجارم

لقد ضمّت شاعرية علي الجارم وحسه المرهف، عن آراء عديدة في عالم النقد والأدب، أفاد منها – بلا شك – النقد الحديث والدراسات الأدبية المعاصرة، وإن كان ذلك بأسلوب غير مباشر.

وتلك الآراء النقدية وإن صاغها الجارم شعراً، فإنها لاتمتّ إلى الشعر العلمي الجاف أو النظم التعليمي بأية صلة، فهي آراء ثرية متأدبة دلت على قدرات الشاعر الإبداعية والنقدية التي لم تخلُ من العمق والفلسفة ، وتوشحت برداء "الجمال الفني الإبداعي".

والبراهين على ذلك كثيرة نلمسها من نماذجه الشعرية النقدية العديدة ، استمع إليه وهو يتحدث شعراً عن التصوير الفني قائلاً: (٤٨)

صورٌ زيتُها بيانٌ سَريٌّ ... مزجَ اللهُ وحدَهُ ألوانَهْ
لو (رُفائيلُ) راءَها، غالَهُ البهْرُ، وألقى الواحَهُ ودهانَهْ(٤٩)
عالِمٌ بالنفوسِ ماغاصَ مْيلٌ ... في خفايا النفوسِ حتى أبانَهْ
أودعَ الدهرُ مسمعْيهِ عنِ الكوْ ... نِ حديثاً فلم يُطِقْ كتمانَهْ

فالشاعر هنا يعّرف (الصورة الفنية) بلغة جمالية راقية مؤثرة مقنعة أفضل مما عّرفها كثير من علماء النقد والبلاغة المحدثين، فهو يرى أن الصورة الفنية لدى الشاعر المبدع ما هي إلا لوحة أصباغها بيان بليغ ولغة مؤثرة، نفخ الله تعالى روح الإبداع في قائلها كما نفخه في راسمها، إلى حد أن الرسام الإيطالي القديم المشهور (رفائيل) لو رأى تلك اللوحة الفنية المرسومة شعراً مبدعاً لانبهر بها واعتزل الرسم بعدها من شدة روعتها، التي فاقت روعة رسوماته الشهيرة.

وهذا التعريف الشعري – الموجّه – للتصوير الفني يتطابق مع ما جاء به النقاد المعاصرون الجادون، حيث رأوا أنها خلق جديد لعلاقات جديدة تتجمع فيه العناصر المتباعدة في الزمان والمكان لتأتلف في إطار شعوري واحد يشحن ذهن المتلقي، ويتكيء على سعة الخيال، سواء اعتمدت هذه الصورة على الفنون البلاغية أم خلت منها. (٥٠)

وليس الشاعر المبدع – في رؤية الجارم – فناناً في رسم لوحاته الفنية فحسب، بل هو مرهف المشاعر شفاف الأحاسيس إلى حدّ أنه يسبر أغوار النفوس ويشعرك بمشاركته الوجدانية الآخرين أحاسيسهم، فيوصلها بدقة إلى الناس متعايشاً مع معاناقم وتجاربهم، وهذا ما يطلق عليه في النقد الحديث (التجربة الشعرية)، فليس أوضح ولا أجمل من هذا التعريف البياني الموجز، فالشاعر هو اللسان المعبر عن الكون والحياة والناس ومعاناقم، من خلال موهبة عميقة حباه بها الإله القدير.

كما يقول الشاعر في موضع آخر :(٥١)

وَرُعْتَ كلَّ فتاة في قلادمّا ... بدُرِّ لفظكَ منثوراً ومنتظما

كأنما لفظُهُ ألحانُ ساجعةٍ ... بدائعُ الكونِ فيها صُوِّرَتْ نغما

أو روضُ حزْنٍ أعارَ المِسكَ ... إذا بكى الغيثُ في أنحائه ابتسما

إن الجارم يركز هنا على الناحية (الشكلية الشعرية) في نقده هنا، والتي التفت إليها النقاد المعاصرون، إلا أنه لم يصل لمبالغاقم من حيث إفراد الشكل بالأهمية فقط، فهو كما رأينا ينقد (الشكل والمضمون) معاً، والنص الذي بين أيدينا يوضح فيه الشاعر أهمية اللفظ المسبوك، والموسيقى الشعرية المطربة التي تنافس سجع الحمام، والتصوير الذي يطلق عليه في النقد المعاصر (الصورة الشمية) التي يتنسّم القارىء أو السامع عبيرها الفواح عبر أبيات القصيدة.

وكل تلك الجماليات النقدية أوردها الجارم في لوحة فنية خالدة اتكأت على عدة فنون بلاغية: التشبيه والاستعارة والمقابلة، فاللفظ الموسيقي يشبه ألحان الطيور، والرياض المرتفعة أعارت المسك رائحتها الفواحة فاكتسب عبقها، والغيث يبكي كي تبتسم الأرض بالطبيعة الغناء.

فقد ربط كثير من نقاد العصر الحديث بين التجربة الشعرية والإيقاع الموسيقي ولكن لم يصلوا إلى العمق الفني الذي وصل إليه الجارم في شعره هنا، ولكنه طابق المقاييس النقدية الحديثة الجادة التي رأت أن الصورة هي الشكل الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكانياقا في الدلالة والتركيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز من ترادف وتضاد وتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني والدلالي، فتحسن من طريقة عرض المعاني. (٥٢)

وفي نموذج شعري لعله يكون من أبرز النماذج النقدية الشعرية لدى الجارم، التي أخرجها لنا في ثوب تصويري مقنع، والذي يقول فيه مهاجماً العجمة والعامية التي بسطت نفوذها الأهوج على لغتنا العربية:(٥٣)

ولم تزلْ من حمى الإسلامِ في كَنَفٍ ... سَهلٍ ومن عزّهِ في منزلٍ خصبِ
حتى رمتْها الليالي في فرائدِها ... وخرَّ سلطانُها ينهارُ من صَبَبِ(٥٤)
وعاشَتْ العجمةُ الحمقاءُ ثائرةً ... على (ابنةِ البيدِ) في جيشٍ من الرَّهَبِ(٥٥)
يقودُه كلُّ ولاّغٍ أخي إحَنٍ ... مضمَّخٍ بدماءِ العُربِ مُختضبِ(٥٦)
لم يبقَ فيها بناءٌ غيرَ منتقضٍ ... من الفصيحِ وشملاً غير منقضبِ(٥٧)
كأنَّ (عدنانَ) لم تملأْ بدائعُهُ ... مسامعَ الكونِ من ناءٍ ومقتربِ
مضَتْ بخير كنوزِ الأرضِ جائحةٌ ... وغابتْ اللغةُ الفصحى مع الغَيَبِ(٥٨)

حيث صور الشاعر لغتنا الفصحى وهي تهاجم من قبل العجمة في جيش رهيب أحق المسير، يقوده كل حاقد على العروبة والإسلام ، حتى لم يتبقّ بناء من أبنية اللغة العربية لم يصبه الهدم ولم يبتلى بالشتات، وقد استخدم الشاعر في تصويره أساليب قوية محافظة كي تتلاءم مع جو النص المشحون بالظلم والضياع، مستخدماً فن "التجسيم" الذي جعل من العربية كائناً حسياً يُهاجَم من قِبَل كائنات حسية رهيبة، يدعمها كل حاقد وغادر وضال.

ويقول معاصرو الجارم عنه بعد وفاته :(يبهرك من الجارم عمق معانيه وصفاء ديباجته في فخامة وجزالة وفحولة، تقرؤه فكأنما تقرأ لمهيار الديلمي وعلى بن الجهم والبحتري وأضرابهم من أمراء الشعر في العصور المزدهرة بالعلم والأدب، ولاغزو فقد آثر الجارم هؤلاء وتوافر عليهم وأُشرب في قلبه فنهم، فتأثر بأساليبهم في القول، ومناحيهم في تصريف المعاني، فجاء نتاجه على غرارهم). (٥٩)

كما يرى الأستاذ أحمد الشايب بأن على الجارم يمتاز عن الشاعر التقليدي المحافظ المعاصر له محمد عبدالمطلب، بقدر من التجديد، ودرجة من الرقة ملحوظة، وتأثر بالجديد في مصر وانجلترا، فهو امتداد للبارودي وشوقي فصبري ، مع طبع سمح فياض[٦٠].

وقد قال عنه الأديب الكبير عباس محمود العقاد: بأن (علي الجارم من المدرسة "الدرعمية" نسبة لدار العلوم التي درس ودرّس فيها، وهي ملامح "أسرة" فكرية نفسية خلقتها طبيعة الدراسة التي انفردت بها دار العلوم، ولم تشبهها دراسة من قبيلها في لغتنا ولا في لغة أخرى من لغات الثقافات المعروفة لدينا، فالدرعمي "لغوي عربي سلفي عصري"، ولكن على منهج فريد في بابه، بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الافرنجية، وبين مناهج المحافظة والتجديد ومناهج الابتداع والتقليد). [٦١]

ويؤيده الدكتور عبده بدوي الذي يرى بأن هناك عالم عربي خاص بالمفردات، والجمل، واللقطات، والصور، والدعابة، والبعد عن المواقف الحدية، والاقتراب من عالم المثال، فالشعر عنده يقوم أكثر ما يقوم على الموسيقى، وعلى الذوق، وعلى العالم السحري الذي لاتستطيع أن تفضّ خاتم سحره، وإماطة اللثام عن مكنون سره .. وقد كان من الطبيعي أن يقدم الجارم صوراً جزئية تعتمد أكثر ما تعتمد على التشبيه والاستعارة والتمثيل ليستطيع أن يجسم ويشخص، وليقترب من مقولة ابن طباطبا في عيار الشعر: "إن الشاعر المتمكن كالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه". [٦٢]

وإن كان بعض النقاد المعاصرين يأخذون على الجارم محافظته الشديدة لغوياً وشعرياً ونقدياً ورفضه للجديد، وخنقه لتجاربه الذاتية، فإننا نراهم إنما يبالغون في ذلك لأنهم من ناحية حكموا عليه خارج إطار عصره، ونظروا إليه بمنظار معاصر جداً، كما أنهم لم يدرسوا كل شعره بعناية فهو لم يعارض التجديد في المضامين والأفكار والمعاني طالما أنها لاتحارب الدين أو تنحر التراث أو اللغة، وهو يمثل مرحلة أدبية مهمة يعدّ أحد النماذج الوضاءة فيها، رغم حفاظه الشديد الذي يتلاءم مع نوعية ثقافته وتربيته وتدينه.

ومن يقرأ مقدمة الشاعر التي كتبها لديوانه الذي طبع في أخريات حياته، يرى أنه ضمّنها كثيراً من آرائه النقدية النثرية، التي تدل أيّما دلالة على قناعاته التامة الثابتة بما أورده في شعره من أراء حول الشعر والشعراء، حيث عبّر في ثنايا تلك المقدمة عن رأيه (النقدي النثري) المطابق لآرائه

(النقدية الشعرية) التي تتمسك بأهداب القديم ولكن في إطار متجدد لايتخلف عن روح المعاصرة المتعقلة المعتدة بأصالتها، حيث يوضح رأيه بقوله:[٦٣]

(لو أردنا أن نقول في لطف جمال الشعر وروحانيته، وعجز الألفاظ عن الإحاطة بسره وإماطة اللثام عن مكنون سحره، لطال حبل الكلام، وحاد القلم عن الجادة، ولكننا نستطيع أن نقول في عبارة قصيرة: بأن جمال الشعر في نظمه وجرسه ورنينه، وفي انتقاء ألفاظه وتجانسها، وفي ترتيب هذه الألفاظ ترتيباً يبرز المعنى في أروع صورة وأبدعها، وفي اختيار الأسلوب الذي يليق بالمعنى ويليق به، مع الحفاظ عليه عربياً صحيحاً، ثم في ابتكار المعاني أو توليدها من القديم، ثم في حسن تصوير الخيال والتزام الذوق العربي فيه، ثم في إحكام القافية والتمهيد لها، ثم في انتقاء البحر الذي يلائم نوع القصيدة، ثم في التنقل في القصيدة عبر فنون القول مع الحفاظ على الوحدة الشعرية، ثم في روح الشاعر وانسياقه مع الطبع، وتعمده لمس مواطن الشعور الإنساني).

وكل هذا إن دل على شيء فإنما يدل أننا أمام أديب وشاعر وعالم متسع الثقافات، ولو بحثنا في أصل اختصاصه العلمي الأول لوجدناه ميدان الدراسات النفسية التي أصبحت في عالمنا اليوم مرتبطة بالدراسات الأدبية كأشدّ ما يكون الارتباط، وكأن الجارم بذلك يكون سابقاً لعصره، يقول أحد الأعلام المعاصرين لهذا الأديب المفكر حول هذا الأمر: (وكما أن أثر الأدب والشاعرية قد جمل العبارات العلمية في اسلوب الجارم، إلا أنه من الملاحظ أيضاً أن تخصصه الأول وهو علم النفس لم ينعزل عن طبيعته الأدبية حين يكتب في موضوع علمي أدبي، فبحوثه وآراؤه دائماً يحتضنها علم النفس).[٦٤]

ولكن إفادة الجارم من الأبحاث النفسية لم تصل إلى درجة الانغماس العميق الذي وصل إليه نقدنا المعاصر، نتيجة الاندماج في الأداب الغربية ومذاهبها المتعددة المتتابعة، وذلك نظراً لأمرين أولهما : هو التسارع في النتاج الأدبي والمعرفي الذي حدث بعد وفاة الجارم، والثاني : هو ثباته على مبدئه الديني والخلقي فهو من حفظة كتاب الله الكريم[٦٥]، ذلك المبدأ الراسخ الذي لم يحد عنه حتى وهو في أحضان ديار الغرب وينهل جزءاً من علومه عنهم.

وبعد :

فإن تلك الآراء النقدية الأدبية التي تدور حول فن الشعر في شعر علي الجارم لهي غيض من فيض هذا الأديب – الناقد اللغوي النفسي – الذي لاينضب ، وهو نمط جديد من النقد الشعري لم يسبقه أحد إليه وبهذا الحجم، إنه ليس نظماً موزوناً، إنما هو شعر فني راقٍ زاخر بالصور الفنية، والأساليب الجزلة المقنعة، ربط فيه الشاعر بين النقد والشعر برباط فني وثيق سلس (لأن العمل الأدبي هو موضوع النقد الأدبي، فتحديد معنى العمل الأدبي، وغاياته وأهدافه، وقيمه الشعورية والتعبيرية، والكلام عن أدواته البيانية، وطرائق أدائه وأساليبه، وفنونه، هي ذاتها النقد الأدبي في أخص ميادينه).[٦٦]

وقد أتحفنا به الجارم في مطلع نهضتنا الأدبية الفكرية الحديثة ليبقى نبراساً ينير مع غيره من مشاعل الفكر طريق الدارسين المخلصين لعربيتهم، مهما علا طوفان الاتباع، وإن كنا لانعارض التجديد الإيجابي المعتدل لكن يجب أن نضع في عين الاعتبار مكانة الجارم التربوية والعلمية والاجتماعية فهو قدوة قبل كل شيء، لذا فقد مات وهو يدافع عن عربيته ودينه وأصالته محتفظاً بأهم مقومات الشخصية القوية المحافظة على معالمها من الاندثار في وسط هذا السيل العرم من الانقياد الأعمى لكل ما هو غربي.

****

**

*

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الشعرية الطريفة مع الباقة النقدية الجارمية، التي جمعت بين عمق الثقافة، وشفافية المشاعر، وسمو الخلق، وتجربة التوجيه التربوي، رأينا كل ذلك قد انعكس على رؤيته للشعر الراقي الباقي الذي يخدم هموم الأمة الخاص منها والعام.

فرأيناه وكأنه يضع مقاييس نقدية حيوية للشعر القوي الجيد، سواء أكان شعراً عاطفياً أم جاداً، وشمل ذلك المضامين والموضوعات الشعرية، والنقد الفني لها من جمال تصوير، وصدق تجربة، وقوة أساليب، فمزج بذلك بين الشعر والنقد مزجاً فنياً رائقاً جعل منهما وحدة واحدة لاتتجزأ.

ووضع كل ذلك في إطار الحفاظ على الفصحى والتراث، لأنهما في جُلّ نتاجهما يحملان لواء الدفاع عن الدين الحنيف والهوية الإسلامية السمحة، مع وعي فني.

ورفض الجارم التجديد المعتمد على الاتباع والهدم، لا الابتداع والبناء، سواء في الشكل أو في المضمون، متمسكاً بجذوره الثقافية الأصيلة هذه، رغم تجربته التعليمية الأوربية في انجلترا، مما يبرهن بوضوح على قوة شخصيته الفكرية واعتدادها بنبعها الفياض، رغم مرونتها الواعية.

وذلك لأنه أدرك مقدار التأثر الشديد – من قبل النقاد العرب المعاصرين –بالنقد الغربي تأثرا تاماً حذو القدة بالقدة، مما يتوجب معه إعادة النقد والشعر العربيين لأصالتهما، مع عدم الانغلاق على الذات، بل وسطية النهج في الانفتاح على الآداب الأخرى.

وأرجو أن تكون دراستي هذه دافعاً للمزيد من الدراسات الحديثة عن هذا الشاعر الذي غمط حقه في البحث والنقد الحيادي العميق لنتاجه الشعري، ولعل السبب في ذلك أنه كان موجوداً في نهاية حقبة زمنية سياسية ولتْ ولم يكن مرضيّاً عنها، لاسيما وأن الجارم كان من أهم شعرائها، إضافة لوجوده بين فطاحل الشعر آنذاك أمثال أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ ابراهيم، وغيرهم من الذين لمعوا كشعراء فقط، بعكس الجارم الذي اشتهر كرجل تربية وتعليم، فنالوا حظاً كبيراً من الدراسات النقدية والبحثية المتخصصة أكثر مما نال هو.

والله تعالى أعلى وأعلم

****

***

هوامش البحث

١- انظر كتاب : الموازنة بين الشعراء، للدكتور/ زكي مبارك، ص ٤٥، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

٢- أنظر كتاب : نظرات في أصول الأدب والنقد، للدكتور بدوي طبانه، ص ١٥١-٢٥٢، مكتبات عكاظ – المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.

٣- أنظر كتاب : قضايا معاصرة في الأدب والنقد، للدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٤١-٤٢، طبعة دار النهضة بمصر ، د.ت.

٤- كتاب : الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، للدكتور محمد الكتاني، جـ١، ص ٤٨٩، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.

٥- انظر الديوان الكامل ، لعلي الجارم ، جـ١، ص ٦، الطبعة الثالثة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧م.

٦- من كلمة للأستاذ أحمد العوامري يرحمه الله أستاذ وزميل الجارم، ألقاها في حفل تأبينه الذي أقامه مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٩م.

٧- انظر ديوان الجارم / ص ٦.

٨- (ملحق) بديوان علي الجارم.

٩- من كلمته التي ألقاها في حفل تأبين الجارم بالقاعة الجغرافية في القاهرة. عام ١٩٤٩م.

١٠- انظر مجلة الفيصل ص ١١، العدد ١٩٤ ، فبراير ١٩٩٣، وكذلك كان هذا الرأي مكتوباً في خطاب بيد ابن الجارم، بعثه إليّ شخصياً.

١١- في الأدب والنقد، الدكتور محمد مندور، ص ١٠، طبعة دار نهضة مصر،د.ت.

١٢- أنظر كتاب (جارميات) : بحوث ومقالات الشاعر والأديب اللغوي: علي الجارم، ص٣١١، مقالة: صديقي أحمد شوقي، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، بيروت، عام ١٩٩٢م.

١٣- ديوان الجارم ١٦٢/١.

١٤- انظر مقدمة ديوان الجارم، الجزء الثاني التي كتبها بقلمه/ وكذلك انظر ص ٥٧٠.

١٥- ديوان البحتري، المجلد الأول، ص ٢٣٤، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

١٦- ديوان علي الجارم ، ٢ / ٤٩٧.

١٧- السابق / ص ٤٩٨.

١٨- ديوان الجارم، ٣٣٢/٢.

١٩- السابق، ٢١٨/١.

٢٠- السابق، ١٦١/١.

٢١- السابق ، ص ١٦٢.

٢٢- السابق ، ص ٢١٢.

٢٣- الجحجاح: هو السيد الشريف الشجاع القوي، بعكس المفزّع الذي ورد في نفس البيت وهو: الجبان المرعوب الخائف.

٢٤- ديوان الجارم : ٢٨٥/١.

٢٥- المصدر السابق : ٥١٠/٢.

٢٦- الديوان : ٢٨٥/١.

٢٧- السابق : ص / ٢٨٦.

٢٨- انظر هذه الحادثة النقدية في كتاب : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، للأستاذ طه أحمد ابراهيم، ص ٣٤، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٥م.

٢٩- ديوان الجارم : ١٠٠/١.

٣٠- السابق : ٣٢٣/٢، وكذلك انظر في الديوان نماذج أخرى آخر حول فن الغـزل وبعـض الأغراض الشعرية الأخرى، ٩٩/١.

٣١- انظر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب النقد الأدبي الحديث، د/محمد غنيمي هـلال، ص ٣٩٠، ط ٣، نهضة مصر ، ١٩٦٤م.

وكذلك انظر : كتاب أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ص ٢٦، ط ٨ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، عام ١٩٧٣م.

٣٢- ديوان الجارم، ٢١٩/١.

٣٣- اللهاة: هي تلك الزائدة اللحمية في أعلى الحلق، ويرمز الشاعر بها إلى قوله عامة وشـعره خاصة، حيث صانهما عن كل قبيح.

٣٤- انظر : كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، د/عدنان علي رضا النحوي، ص ٣٤، ط ٢ ، دار النحوي للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧.

٣٥- سورة النمل، الآيات (٧، ٨، ٩).

٣٦- انظر الديوان فيما يخص هذا الموضوع على سبيل المثال استدعائه لرمز المسيح عيسى بـن مريم عليه السلام كرمز هداية للناس، وهو يتحدث عن أهمية الشعر لهداية البـشرية. جـ١/ص ١٠٠.

٣٧- ديوان الجارم، ٢٨٤/٢.

٣٨- السابق، ٢٨٥/٢.

٣٩- امرؤ القيس والنابغة الذبياني هما الشاعران الجاهليان الشهيران ، ويرمز بهمـا الجـارم إلى ضرورة الحفاظ علي الأصالة اللغوية والتراث الشعري الراقي.

٤٠- ديوان الجارم، ٦٨/١.

٤١- الدراري : جمع درّي ، وهو الكوكب السماوي العالي.

٤٢- ديوان الجارم : ٣٦٢/٢.

٤٣- السابق : ٧٦/١.

٤٤- السابق : ٣٦٤/٢.

٤٥- نفسه.

٤٦- السّخب : هو العقد الرخيصة من ودع وما أشبهه.

٤٧- انظر كتاب: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ، ص ٣٥، الطبعة الأولى ، دار النحوي للنشر – الرياض : المملكة العربية السعودية، عام ١٩٩٩م.

٤٨- ديوان الجارم : ٣٢٣/٢.

٤٩- راءها : بمعنى رآها وشاهدها.

٥٠- انظر على سبيل المثال: كتاب الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية، د/عز الدين اسماعيل ، ص ١٦١، ط١، دار العودة : بيروت ، ١٩٧٢م.

وكذلك انظر : كتاب فن الشعر، د/إحسان عباس ، ص ٢٦٠، ط ١ ، بيروت، ١٩٥٩م.

٥١- ديوان الجارم : ٢٩٠/١.

٥٢- انظر كتاب: الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، ص ٤٣٥، مكتبة الشباب: القاهرة، ١٩٧٨م.

وكذلك انظر كتاب: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د/جابر عصفور، ص ٣٢٣، ط ٢ ، دار التنوير – بيروت، ١٩٨٣م.

٥٣- ديوان الجارم : ٣٦٣/٢.

٥٤- الصبب: هو المنحدر.

٥٥- ابنة البيد: يقصد بها الشاعر اللغة العربية ، أما الرهب: فهو الخوف والخشية.

٥٦- ولاّغ : الشارب الذي يشرب شرب الكلاب ، حيث يلغ الماء مرة أخرى مِن فيه أي يعيده في نفس الماء.

والإحن : الأحقاد، والمضمّخ: الملطّخ.

٥٧- منتقض : أي متهدّم. ومنقضب: منقطع، وهذا (تشخيص) لما آل إليه حال اللغة العربية في الزمن المعاصر.

٥٨- جائحة : أي قاتلة ومهلكة.

٥٩- من كلمة أحمد العوامري التي ألقاها في حفل تأبين الجارم عام ١٩٤٩م.

٦٠- انظر كتاب: الجارم حياته – شعره ، لأحمد الشايب ، ص ٨٢، ط ١ مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١م.

٦١- انظر مقدمة ديوان علي الجارم، للأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله، ص ٩.

٦٢- من مقالة للدكتور عبده بدوي بمجلة الفيصل ، ص ١٥، العدد (١٩٤) – شعبان عام ١٤١٣هـ، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٦٣- انظر مقدمة ديوان الجارم التي اختطها بيده من ص ١٣- ص ١٨.

٦٤- من مقدمة كتاب جارميات ، لعلي الجارم التي كتبها الأستاذ مهدي علام، ص١٢-١٥.

٦٥- انظر سيرة الجارم في لقاء مع ابنه أحمد علي الجارم بمجلة الفيصل، ص١٠، العدد (١٩٤)، شعبان ١٤١٣هـ.

٦٦- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، لسيد قطب ، ص ٩، القاهرة، ١٩٨٣م.

***

**

*